الإسلام والمسلمين في الكتابات الفرنسية، الإسلام في القرن 19 لألفرد لوشاتليه

Islam and Muslims in French Writings, Islam in the 19th Century by Alfred Le Chatelet.

د.عايدة حباطي

جامعة الأمير عبد القادر

للعلوم الإسلامية

قسنطينة

الملخص

تعرض الإسلام والمسلمون طيلة قرون عديدة إلى ضربات وانكسارات على غرار الغرب المسيحي، خاصة مع تراجع الوحدة السياسية للمسلمين التي تهاوت منذ القرن 19 مع الحركة الاستعمارية واجتياحها العسكري ومصاحبتها بهيمنة تامة، وكان الإسلام أحد أهم اهتمامات الغرب في كتابتهم؛ وقد أولاه الفرنسيون نفس الاهتمام ومنه جاء عنوان هذه المداخلة **الإسلام والمسلمين في الكتابات الفرنسية، الإسلام في القرن 19 لألفرد لوشاتليه.** الذي نتساءل فيه عن الصورة التي رسمها هؤلاء عن الإسلام في مؤلفاتهم. وقد اخترنا لمناقشة هذا الموضوع كتاب لوشاتليه الموسوم الإسلام في القرن 19.

الكلمات المفتاحية

الإسلام، الإستشراق، ألفرد لوشاتليه، القرن 19، الإسلام العصري.

الملخص باللغة الأجنبية

For many centuries, Islam and Muslims have been subjected to blows and defeats similar to the Christian West, especially with the decline of the political unity of Muslims, which has collapsed since the 19th century with the colonial movement and its military invasion and its accompanying total hegemony. Islam was one of the most important concerns of the West in their books. The French paid the same attention to it, hence the title of this intervention: **Islam and Muslims in French writings, Islam in the 19th Century by Alfred Le Chatelet**. In which we wonder about the image these people painted of Islam in their writings. To discuss this topic, we have chosen Le Chatelier's book entitled Islam in the 19th Century.

key words

Islam, Orientalism, Alfred Le Chatelier, 19th century. Modern Islam

مقدمة:

لم يكتف الغرب بوضع يده على كامل أراضي البلاد الإسلامية، وإنما سخر كل جهوده وإمكانياته لاستعاب المسلمين وفرض هيمنته عليهم. فاهتمت الحركة الاستعمارية بكل الجوانب، وخصت كتابتهم المسلمين بدراسات تاريخية، أثرية، أنثربلوجية، دينية، وكان الإسلام أحد أبرز المواضيع الذي اعتني به المستشرقون والأساقفة والمترجمين العسكريين، وبأعداد هائلة لم تقترن بالفترة الاستعمارية، فقد كتب المؤرخ والأستاذ بيكر (C.H.Bicker) L'islam et La colonisation de l'Afrique وكتب الضابط أندريه P.J.Andre, ، L'islam et les races. وأيضا الأسقف الفرنسي لنديريو (Maurice landrieusc)، (l'islam les trompe- l'œil de l'islam la France puissance musulmane). كما كتب أستاذ القانون بيسل (O.Pesle، (Nouveau regarde sur l'islam) وبدوره كتب سرفييه أندرييه الصحفي وكاتب كتابه المعنون L islam et la psychologie du musulman ونال المستشرقون حظ الأوفر من هذه الكتابات ويعتبر المستشرق الفرنسي ألفريد فردريك لوشاتليه أحد الأسماء الثقيلة في عالم الإستشراق والذي سيكون موضوعا لهذه الورقة البحثية من خلال كتابه الإسلام في القرن 19.

1-التعريف بألفرد لوشاتليه:

ألفريد فردريك لوشاتليه (Alfred Le Chatelier)، ضابط ومستشرق فرنسي، ينحدر من مدينة روان (Rouen) التابعة لمنطقة نورماندي شمال غرب فرنسا؛ كان أجداده يمارسون فيها الفلاحة، واشتغل جده المباشر لأبيه لويس بيار في التجارة. ولد ألفريد في باريس بتاريخ 12 نوفمبر 1855، وكان الرابع في أخوته من أسرة تتكون من ستة أخوة. وينتمي ألفريد إلى أسرة علمية؛ عمل والده لويس(1815-1873) كمفتش عام في المناجم، تخرج من مدرسة متعددة التقنيات (polytechnique)كمهندس في المناجم يرجع له الفضل في إنشاء الخطوط الحديدية الفرنسية، كما أسهم في إنشاء صناعة تعدين الألمنيوم. وكانت أمه إلزابيث ديراند Elisabeth Durand (1826-1902) تمتع بثقافة كنسية وأدبية، وهي ابنة بيير (1783-1857) المهندس المعماري، وحفيدة جان نكولاس الجغرافي وعضو في أكاديمية العلوم. وقد ورث أبناؤها هذا الجانب فكانوا من النخبة المتعلمة شغلوا مناصبا هامة، وكلفوا بمهمات علمية بصفتهم

مهندسين معماريين للطرق والجسور ومهندسين بحريين، وفيهم من كان عضوا في أكاديمية العلوم[1]. على رأسهم هنري لوي لوشاتليه (1850-1936) المهندس الكيميائى له نظرياته الخاصة. وينسب له ما يعرف بمبدأ لوشاتلية المتعلق بالضغط الخارجي، وهو الحاصل على درجة الاستاذية في الكمياء في المدرسة العليا للمناجم في باريس[2].

أبدى ألفريد لوشاتليه تعلقا بأمه، العلاقة التي توطدت بعد وفاة الوالد 1873)؛ وهذا ما يفسر أيضا المراسلات الدائمة بينهما ولسنوات طويلة دامت ثلاثين عاما[3]. ويعتبر هذا الكم هائل من الرسائل مادة خبرية هامة في نقل تفاصيل حياة ألفريد لوشاتليه، والحياة العامة في المناطق التي سافر إليها والمسؤوليات التي أسندت إليه.

درس ألفريد لوشاتليه في كوليج رولين (collège Rollin)، ثم ثانوية في بوردو (1870-1871)، وبعد نجاحه في البكالوريا التحق بالمدرسة العسكرية سان سير (Saint- Cyr) في21 أكتوبر 1874[4]. وعمره حينها (19) عاما، وهي في نفس المرحلة تقريبا التي توفي فيها والده (10 نوفمبر 1873) عن عمر ناهز (58) سنة. بعد اجتياز لوشاتليه الامتحان، حصل فيه على المرتبة (151) من بين 406 مترشح. وقد علق مترجمنا عن التحاقه بهذه الوجهة، بأن حرب (1870) وجهت مصيره إلى المدرسة العسكرية سان سير، وهو الذي كان يطمح إلى السفر ودراسة التاريخ.[5]

مكث مترجمنا في المدرسة العسكرية مدة سنة ونصف، ثم أرسل إلى الجزائر كمجند متدرب، ابتداء من (1875)، وهناك زار قسنطينة، بسكرة، باتنة وعين البيضاء، وبونة (عنابة) في الفترة الممتدة ما بين (23ديسمبر 1876-1 نوفمبر 1878)، انضم خلالها إلى الرماة بصفته ملازم ثاني، أبدى اهتماما خلال هذه المرحلة بجانب الطبوغرافيا وصنع الخرائط، أين كلف بمسح القرى المجاورة، من أجل طبعها في المطابع الحجرية.ولم تنل هذه الرحلة اعجاب ألفريد لوشاتليه، وعبر عن تضايقه منها في رسائله التي كان يبعث بها إلى والدته إلزابيث.[6]

---

(1) Christophe Charle, Eva Telkes, **Les professeurs du collège de France, Dictionnaire biographique (1901-1939),** Institut national de recherche pédagogique, Paris, 1988,p127.

(2)عزيزة فوال الباباتي، **موسوعة أعلام العرب والمسلمين والعالمين**، ج.4، دار الكتب العلمية ، بيروت، 2009، ص130.

(3)Jean Le Chatelier, Alfred le chatelier (1855-1929) sa carrier africaine,Feni XX réédition numérique ,service historique, 1 janvier 1987, p. 7.

(4)Christophe Charle, Eva Telkes, op. cit,p127.

(5)Jean Le Chatelier, op. cit, p. 7.

(6)Ibid, p10-13.

تم تعينه في مصلحة شؤون الأهالي ،وبعد رفضه المواصلة في نفس المهمة المتعلقة بانضمامه إلى فوج الرماة، ولعبت مساعي العائلة دورا هاما في تعينه على مستوى مكتب العرب (bureau Arab) لمنطقة بوغار (Boughar) في ولاية المدية على بعد 100 كلم عن العاصمة، بصفته متدرب ابتداء من تاريخ (29 مارس 1879) إلى غاية (جانفي 1880). وارسل في مهمة برئاسة الجنرال فلاتر (flatter)، التي أوكلت لها استكشاف الصحراء، وربط ممتلكات السودان بالشمال الإفريقي، ولم تجد هذه المهمة أيضا هوًا في نفسه، بحجة أنهم لم تلحق لهم مهمات خاصة ينفرد بانجازها، أو كما عبر عنها "ببعض المهمات من كل شيء" في رسالته لأمه المؤرخة في 17 نوفمبر 1878، كتسوية النزاعات الناشئة من سرقة الماشية والأراضي والممتلكات والاختطاف البسيطة، تسمى هذه المسائل بالشكاية (chicaya).[1]

تعتبر الفترة ما بين (1881-1882) من حياة ألفريد العسكرية فترة عدم استقرار؛ حيث رفض مواصلة المهمة التي كانت تحت إشراف فلاتر، رغم أنه تم ترقيته فيها إلى ملازم (lieutenant)، وقرر فجأة ترك مصلحة شؤون الأهلي؛ لاعتبارات متداخلة نذكر منها:

1-خلافه مع مسؤوله المباشر.

2- مشاركة كتيبته من البليدة في الحملة على تونس، وما تبعها من ضغط إعلامي من الصحافة الإيطالية المعارضة، يضاف إليها تهديدات القبائل التونسية ومن الجنوب التونسي.

3- المذبحة التي حدثت في مهمته الثانية[2]. على الأغلب تكون للمقاومات الشعبية على التراب الجزائري لها يد فيها. وهي من الأمور التي أحبطته وجعلته يرفض الانتقال إلى تونس. وقدم استقالته (11فيفري 1882)، ثم غادر مصلحة شؤون الأهالي في (15 أفريل) من نفس السنة. ولم يشارك بعدها في أي مهمة إلى غاية 16 نوفمبر 1882، بصفته مساعد أول من الدرجة الأولى في ورقلة جنوب الجزائر، للمشاركة في حفر الآبار الارتوازية بين بسكرة وتقرت واستقر هناك ثلاث سنوات (سبتمبر 1885) [3].

كما أرسله الحاكم العام تيرمان (Triman) في مهمة مغايرة، وهي دراسة الطرق الصوفية في مصر (فيفري1886)، ليتم ترقيته إلى نقيب (capitaine) صف 115 (31 ماي 1886).كما كلف بمهمة مماثلة (أكتوبر 1887) ضمن لجنة تحقيقات إلى السودان، وأخرى إلى المغرب (أكتوبر 1889)، الذي انتهى فيها إلى نتائج سياسية ندد فيه بالنفوذ الألماني المنافس لفرنسا في المنطقة، وأليات توسع الأخيرة

---

[1] Ibid, p19.

[2] Jean Le Chatelier, op. cit, p. 19-21.

[3] Ibid, p23-24.

وقد لقي تقريره المقدم عن الرحلة العلمية استحسان مسؤوليه، بأن قدم له فريسيني (Freycinet) تهنئة (1890).

وبعد رحلته الأخيرة إلى الكونغو والغابون وزنجبار (فيفري1893) لدراسة طرق التواصل، قرر الاستقالة مجددا من الجيش (14أفريل 1893)، بسبب تغير السياسة الاستعمارية. وعاد إلى الحياة المدنية. وعلى صعيد الاجتماعي تزوج لوشاتلية في 3 أوت 1896 من ماري اميلي شارلوط. كما أسس مصنعا للخزف بالقرب من باريس سنة 1897، لكنه عاد مجددا للحياة السياسية بصفته مستشارا ووزيرا مفوضا في المغرب، وعضوا في برلمان (1898-1901)[1].كما عمل كأستاذ في علم الإجتماع الإسلامي بجامعة فرنسا (1902-1925).وتكريما لجهوده قامت وزارة المستعمرات بتأسيس كرسي له في كولاج دي فرنس تحت اسم علم الاجتماع الإسلامي؛ الذي يُعنى بالأحوال الاجتماعية؛ خاصة المعاصرة في العالم الإسلامي. والحركة الاجتماعية للمسلمين، وهو الكرسي الذي تولاه من بعده لويس ماسنيوس، ومن بعده هنري لاؤوست ابتداء من سنة 1954[2].

وقد كلف بالعديد من المهام ولجان إلى مصر والمغرب الأقصى، قبل فرض الحماية عليها (1912)، البعثة العلمية في مراكش سنة 1905، هذه الأخيرة التي كرم لأجلها بوسام ضابط جوقة الشرف (Officier de la Légion d'honneur) في تاريخ (9مارس 1906).[3]

2- أعماله:

خلف ألفريد لوشاتليه العديد من الكتابات الاستشراقية التي اهتمت في الغالب بالإسلام وحياة المسلمين والطرق الصوفية في العالم الإسلامي خاصة في الجزائر والمغرب... وهي أعمال ساهمت في إرساء قواعد فرنسا الاستعمارية في العالم العربي. ومن أعماله نذكر:

-تأسيسه سلاسل أرشيفية وهو انجاز ضخم وعمل جماعي من البعثة المغربية، ظهر منها 33 مجلدا، في ظرف 35 سنة، لتعزيز التغلغل الفرنسي به.

-تأسيسه لمجلة العالم الإسلامي(Revue du monde musulman)(1906-1925)، وقد صدرت عن المعهد العالي للدراسات المغربية المراكشية (62 عدد)، عرفت المجلة على أنها كاتى مجلة استشراقية، اهتمت بحياة المسلمين في المشرق والمغرب، على امتداد انتشار الإسلام، بما في ذلك الهند والصين، والتجارة الأهلية، والطرق الصوفية، والتعليم والصحافة العربية، والمؤتمرات الإسلامية، وحياة بعض

---

[1]Christophe Charle, Eva Telkes, op. cit,p127-128.

[2]عبد الرحمان بدوي، **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت)، ص. 517.

[3]Christophe Charle, Eva Telkes, op. cit,p128.

الشخصيات الجزائرية والعربية. وقد عرفها مؤسسها لوشاتليه بأنها مجلة غير استشراقية ولا استعمارية، تعرف بالإسلام كما هو يتطور في الواقع. وتبزر الحقائق الاجتماعية التي تصدرها الحياة الإسلامية[1]. وقد أكد في موضع أخر بأن المجلة تعنى بجميع التوثيقات المرتبطة بالحركة الاجتماعية في البلاد الإسلامية[2] شاركه في تحريرها عددا من المستشرقين الفرنسيين كبوفا وماسنيوس وبلوشي، كما نشر فيها نخب عربية من الشمال الإفريقي كعبد العزيز زاوش، واسماعيل حامت، وبن علي فخار، أبو بكر عبد السلام بن شعيب.

– الصحافة؛ فإلى جانب أعماله المتتابعة المنشورة في جل أعداد مجلة العالم الإسلامي، شارك لوشاتليه في أكثر من مجلة وجريدة كلاديباش دو تولوز (La Dépêche de Toulouse) مابين (1912-1917)، وأيضا لوم ليبر (L'homme libre) سنة (1912)، لورادیکال (Le Radical) ما بين (1914-1923).

كما نشر مجموعة من الكتابات نذكر منها:

-الطرق الصوفية الإسلامية في الحجاز .(1887) Les confréries musulmanes du Hedjaz) في 15 صفحة. وكتاب الإسلام في القرن التاسع عشر باريس 1888 (187صفحة) (L'Islam au XIXème siècle). مسائل صحراوية في (1890)

Questions sahariennes : Touat-Chambaa, Touaregs, mission dans le Algérien sud. ومذكرات حول المغرب سنة 1890 (Mémoire sur le Maroc). الجبالة، المغرب (1895) (Les Djebala, Maroc). كما نشر أيضا حول المغرب كتابه، قبائل جنوب مراكش، الأحواض الساحلية بني سوس ودرعاء (1891) (Tribus du sud ouest marocain, bassins côtiers entre Souss et Drâa). وأيضا كتاب تعليقات عن مدن وقبائل مراكش، الساحل الغرب حوز فاس وحوز مكناس، سايس، جبالة (1902). وكان له اهتمام في منشورته بأفريقية الغربية من خلال دراسة وإنشاء خط مواصلات بين الساحل والكونغو، طريق الكونغو الفرنسي (1893) Etude et création d'une voie de communication entre la côte et le Congo :voie du Congo français. أيضا كتاب الاسلام في إفريقيا الغربية (1899) la Conquête du monde وكان كتابه .[3] (L'islam dans l'Afrique occidental) musulman الغارة على العالم الإسلامي وهو في الأصل مجموع مقررات المؤتمرات التي عقدها المبشرون

---

[1] سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص.75.

[2] Revue du monde musulman, V.1,N.2,1906, P.189.

[3] Christophe Charle, Eva Telkes, op. cit,p128. وأيضا عبد الرحمان بدوي، مرجع سابق، ص 517.

البروستانت، كان قد نشرها لوشاتليه وأعادت جريدة المؤيد نشرها (1912)، ومن بعدها جريدة الفتح المصرية (1930)، ثم أعاد جمعها كلا من مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب في كتاب مستقل صدر أول مرة عن المكتبة السلفية (1931) [1].

كتب ألفريد لوشاتليه في مسائل بعيدة عن اهتمام الحركات الاجتماعية، ككتابه الجزائر ونبات الحلفا (1918). وكتاب الفوسفات في المغرب. ودراسات وأبحاث، السيلولوز والورق (1919)....

3- **قراءة في كتاب الإسلام في القرن 19**: تعد الكتابات الاستشراقية أحد أبرز ملامح التي صاحبت الحركة الاستعمارية، فقد ساهم الغزو الفكري بأسلوبه الصامت المتسلل في دعم الحركة الاستعمارية بترجمات وكتابات ودراسات التي شكلت جرعات تعزيزية لتوسيع السيطرة والتحكم في المجتمع، بتتبع خلفياته الدينية والتاريخية، والعلمية المعرفية والتراثية والاثنوغرافية....

دخلت الدراسات الاستشراقية مع نهاية القرن 19 ومطلع القرن العشرين الاحتراف، بأن أفرزت المرحلة عددا من خرجي مدرسة اللغات بباريس، وكلية الآداب بالجزائر التي تم تأسيسها في العقد الثامن من القرن التاسع، التي تولى إدارتها ماسكري ثم رينيه باسي، وألفريد بيل وإدمون ديستان (Edmond Destaing) [2]. يؤكد ذلك روبير منتران في قوله: "بولادة القرن العشرين ظهر تحول في الاستشراق الفرنسي، فقد سمح إنشاء المدرسة العلمية للدراسات العليا في باريس بتجديد المواد المتفرعة والمتخصصة، لاسيما على صعيد الدراسات الشرقية، فقد كانت الدروس المعطاة في هذه المدرسة على شكل مناقشات بحوث موجهة عادة إلى مستمعين متقدمين، فنمت وتطورت بفضل هذه المدرسة الدراسات الاستشراقية[3].

تناولت الدراسات الاستشراقية تقريبا نفس المواضيع، التي انصبت حول الإسلام والفرق الإسلامية واللهجات؛ هذه الأخيرة التي عرفت اهتماما خاصا من مستشرقي فرنسا في الجزائر، بتأسيس مدارس لها ومؤسسات، كما أوجدت لها كراسي خاصة باللهجة البربرية على مستوى كلية الآداب بالجزائر؛ كرسي تاريخ إفريقيا القديم (1910)، وكرسي اللغة والحضارة البربريتين (1930) وأعمال ودراسات مطولة عن

---

[1] مصطفى خالدي، عمر فروخ، **التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى اخضاع الشرق للاستعمار العربي**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1953، ص.10.

[2] أحمد نعمان: **فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر**،(الخلفيات: الأهداف، الرسائل، البدائل، منشورات دحلب، الجزائر. ص.188-189.

[3] روبير منتران، روبير منتران،" الاستشراق الفرنسي تطوره آفاقه"، تر :يوسف حجي، **سلسلة كتب الثقافة المقارنة الاستشراق**، ع 2 ،العراق،1987، ، ص35.

التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية، لستيفان غزال[1]. وأدب البربر لهنري باسي[2]وأعمال أخرى للويس برتران. وأعمال أخرى نشرتها المجلة الإفريقية للنشر. [3]بالإضافة إلى معاهد أخرى مثل المعهد الفرنسي للأثار الشرقية في القاهرة (1880)، وكليات أخرى في جامعة ليون ومرسيليا، ومعهد الدراسات العليا في تونس (1945)، ومعهد الدراسات المغربية بالرباط (1931)، والمعهد الفرنسي في دمشق (1930) وأخر في إيران (1948) [4]. وهو ما يعكس اهتمامها ببلاد لإسلامية بما في ذلك المطلة على البحر الأبيض المتوسط. وتعتبر في حد ذاتها مادة خبرية هامة في تتبع مسيرة الاستشراق الفرنسي في مختلف أقطار البلاد الإسلامية.

نشر ألفرد لوشاتليه كتابه **الإسلام في القرن 19** L'Islam au XIXe siècle في المكتبة الشرقية الزيفريين (Bibliothèque orientale Elzévirienne)، وهي مكتبة تضم مجموعة من الكتب تهتم بالشرق، أصدرها متخصصون من مختف أقطار أروبا خاصة فرنسا شملت علماء اللغة والمستشرقون، وموظفون حكوميون ودبلوماسيون، أصدرت ما بين (1873-1916) 90 كتابا[5]، وهو ما يعكس الاهتمام الذي أولاه الأوربيون للدراسة الشرق. وهو انعكاس لاهتمام الأوربيون بالشرق بما في فيه العالم الإسلامي. وقد تولت دار أرنست لارو (Ernest Leroux) في باريس نشره سنة 1888وهي المرحلة التي عرفت فيها تصاعد ملفت في الكتابات الاستشراقية. جاء الكتاب **الإسلام في القرن 19** في (187) صفحة.

جاء الكتاب بعد الإفتتاحية في أربع عناوين فرعية:

---

[1]ستيفان غزال(1864-1932) صاحب كتاب التاريخ القديم لإفريقيا الشمالية من 8 أجزاء.

Stéphane Gsell :**histoire ancienne de l'Afrique du nord**, 8 vol, libraire Hachette et c. Paris (1913-1928).

[2]ورسالة هنري باسي Henri basset(1892-1926) في كتابه:

Essai sur la littérature des Berbères, Jules Carbonel, 1920.

[3]نشرت المجلة الإفريقية (R.A) سنة 1859 مقال للمترجم ألفونسو ماييرر: «أصل سكان بلاد القبائل حسب العرف المحلي. وفي سنة 1856 افتتحت المجلة بنماذج عن الكتابات البربرية.2. **R.A**, Vol.1,1856, p

-Tauxier: «tradition sur les origine du people berbère», **R.A**, Vol. 6, 1862,(2 parties),part.1, p.353-363,part.2,p. 441-461.

-Bache (A): «notice sur les dignités romaines en Afrique», **R.A**,Vol.7, 1863 (4 parties). Vol.8, 1864 (6 partie). Vol. 9,1865, (6 partie). Vol. 9,1866,(6 partie).

[4] العقيقي نجيب، المستشرقون، دار المعارف، مصر،1964، ص.138.

[5] https://biblioweb orientale. Hypotheses.org. Bibliothèque orientale Elzévirienne-biblioweb

- الإسلام قبل القرن 19.
- الإسلام في القرن 19.
- الإصلاح في إفريقيا.
- الإسلام العصري.

قدم لوشاتليه لكتابه بمقدمة أثار العلاقة بين العالمين الإسلامي والمسيحي التي وصفها بالنادرة ، ربما يقصد من ذلك الاحتكاك المباشر، هذا ما جعلهم غرباء عن بعضهم البعض، إلا أن هذه الروابط ازدادت وتيرتها مع الاحتلال الأروبي، عندما بدأ هذا الأخير يخترق عالم الشرق المنغلق على نفسه، وتحولت معه البيئة التي يعيش فيها الأمة المحمدية فضاء لاهتمام الغرب. [1]

اعتبر لوشاتليه فرنسا قوة إسلامية. وأن الإسلام يعرف في عصوره الأخيرة اتجاهات جديدة، إلا أنه لم يحظى بدراسات تفصيلية تقربنا من الواقع، الذي يجب أن نراعي فيه إختلاف العرق والتاريخ والجانب الاقتصادي لكل بلد، إلى جانب التفوق الحضاري للغرب على الأمة الإسلامية الاختلافات الفكرية التي تعتبر الأساس في تنظيم الاجتماعي .

يؤكد لوشاتليه على خلاف الرأي السائد أن الإسلام في القرن 19 يعرف تغيرات عميقة[2].
وحسب نفس الكاتب فإن الدين الإسلامي يعتبر دين إيجابي، الحقيقة التي أقرتها الديانة اليهودية يقوم على الألوهية النابعة من مبدأ التبعية المطلقة للإنسانية لأحكام العناية الإلاهية.

من الأفكار التي عالجها الكتاب حالة الإسلام والمسلمين قبل القرن 19، وقبل ذلك فإن العالم الإسلامي يعتبر تكتل عاطفيا من خلال الوحدة الدينية التي تجمعه. فبعد وفاة النبي ﷺ ولم تطل المدة الزمنية طويلة حتى تجلت واضحة مظاهر المنافسة بين خلفائه على السلطة زمنية لمدة فترة الخلافة وتولي السلطة، الأمر الذي هدم النظام الذي أرساه الرسول ﷺ في حكمه مما أضعف مفهوم الدين الذي يعتبر النواة الأولى.

كان انتشار الإسلام في شمال إفريقيا يختلف عن انتشاره في أسيا، حارب الغزاة (الفاتحين) في الشمال الإفريقي حضارة بيزنطية آيلة للسقوط لضعفها وأظهر المدافعون عنها تسامحا مما جعلها تنتصر بسهولة على الكنيسة الشرقية، وعلى السكان الأصليين[3]. وفي ذلك تظليل للحقيقة التاريخية حيث أن

---

[1]A.L.Chatelier, L'Islam au XIX siècle, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1888,p.1.

[2]A.L.Chatelier, op cit,p. 2

[3]A.L.Chatelier, op cit,p.3.

الفاتحين وجدوا استماتة من البربر وعلى رأسهم الكاهنة. ولا يخلوا كلام لوشاتتلية عن الترويج لفكرة طبيعة السكان المستسلمة لكل الغزاة الذين مروا بهم بما في ذلك الفاتحين والعثمانيين.

بنما اصطدم الفاتحون في آسيا بحضارات قوية؛ الفارسية الهندية، والصينية، وكانت كلها على درجة عالية من الصقل الفكري، فكان عليهم أن تخضع وتلين لتستطيع التسلل في هذه الحضارات، مع احترام النص الشرعي للقرآن [1].وبذلك اقترنت الحضارة الإسلامية الجديدة بالحضارات القديم لبلاد فارس والهند والصين. وفي نفس الوقت تأثر الدين الإسلامي بالفلسفة الشرقية خاصة ما يتعلق بالطقوس والعادات، ومثال ذلك احتفال بعض الهندوس المسلمون بالأعياد البوذية. وهي المنطلقات التي تجلنا نميز بين الإسلام الإفريقي والإسلام الآسيوي هذا الأخير الذي كان دينا فلسفيا للمذاهب والفرق، وموحدا للمعتقدات، وصوفيا في العبادة لدى الأفارقة[2].

يرى لوشاتليه أن من تأثرات وتداعيات الإسلام في شمال إفريقيا خاصة ظهور الطرق الصوفيه على اختلافها، والتي أصبحت تمثل معتقدات باطنية في العصر الحالي، الذي اعتبرت عنصرا قوته الحية الوحيدة[3].

عرف الإسلام خلال القرن 19 تحولات جديدة كان أهمها تحول تأثير عقيدة وحدة الوجود التي تقوم على رمزية الوحدوية، بظهور الحركات الإصلاحية التي وصفها بالرجعية، وتقوم على الصوفية المتشددة والمسلحة حيث استمدت أفكارها وأسلوبها من الوهابية، التي كان ظهورها قبل اجتياح الغرب للمنطقة، وتراجع في الدين عن أصوله الأولى[4]. كما عرف الإسلام تراجعا بظهور الفكر القومي. وميز الإسلام الحديث في القرن 19.

اعتبر لوشاتليه مُحَمَّد بن عبد الوهاب المؤسس للحركة الوهابية أنه تجاوز الإسلام بإنكاره للرسالة المحمدية في نهضته التصحيحية المتعلقة بالجانب العقائدي، وما يرتبط فيها بالأئمة الشرعيين، أين وضع سلطته فوق سلطتهم[5].

بالنسبة للوشاتلية فإن الوهابية كانت تشكل قلقا، بتوسعها على أكثر من رقعة من أسيا مستغلة الثورة على الأتراك، حيث امتدت إلى الهند عن طريق أحمد سعيد وكيف حاربه الإنجيز وحاربوا معه الحركة الوهابية في مواجهات مسلحة دامت ربع قرن، ومواجهات أخرى عن طريق الفتاوى التي كان مصدرها مكة

---

[1]A.L.Chatelier, op cit,p.4.

[2]A.L.Chatelier, op cit,p.5-6.

[3]A.L.Chatelier, op cit,p.7-19.

[4]A.L.Chatelier, op cit,p22-25.

[5]Ibid, p.27.

(1870)[1]. وعاش الإسلام الظروف نفسها في باقي آسيا في كل من أفغانستان وتركستان وماليزيا والصبين.

ختم لوشاتليه كلامه عن الإصلاحات في آسيا أن الإسلام تراجع عن جوهره الأول، وتراجع عن فكره الدعوي التبشيري. فالوهابية التي كان لها النصيب الأوفر في تمثيل الإسلام في القرن 19، ونهضتها الإصلاحية القائمة على العودة إلى الأصول الأولى للدين الإسلامي، إلا أنها تهدف إلى تأسيس سلطة ثيقراطية (سلطة دينة) تمتد على مساحة كبيرة.

قارن أيضا الكاتب بين التقدم الذي عرفتها الحضارة الغربية المسيحية وتلك التي عرفها الإسلام، حيث عرف الأخير تطورا إلى الوراء، وتقدم رجعي.بينما عرفت البلدان الخاضعة بشكل مباشر لتأثير الأفكار الأروبية ضعف الفكرة والمشاعر الدينية ونمت عندهم بدل تلك الروح القومية التي انتشرت في جزر الهند الإنجليزية وتركستان من الاجتياح الروسي وبلاد فارس وتركيا وسوريا... وحتى إفريقيا بما في ذلك الجزائر وتونس ومصر. [2]

وبدورها عرفت إفريقيا نهضة إصلاحية خلال القرن 19، استمدتها من نفس المنابع الأسياوية، حيث كالوهابية أثر كبير على السنوسية. [3] هذه الأخيرة التي انتشرت واتسع مجالها الجغرافي في صحاري، وعززت مكانتها في الحجاز وطرابلس. وقد ربطها بالعثمانيين علاقات مصلحية. حيث كان سنوسيون يعتقدون أن بإمكانهم النيل من الأتراك والمسحيين بضربة واحدة. واعتبر لوشاتليه السنوسية أحد عناصر المواجهة ضد سيطرة المسيحية في مصر وتونس والجزائر، التي اعتبرت دار حرب مع خضوعها للاحتلال الغربي. وبالمقابل حاولت السنوسية الحفاظ على مجال سيطرتها من دار الإسلام، وفي نفس الوقت كانت تنشر الفكر الإصلاحي في الأفاق[4].

كما أشار ألفريد لو شاتليه في أدبياته إلى مسألة هامة وهي ما اصطلح عليه الإسلام العصري، ربط بين الإسلام العصري والحركة الاستعمارية، وهي المرحلة التي حافظ فيها المسلمون على معتقداتهم الدينية وانفتحوا على النهضة الفكرية الأروبية. واعتبر القسطنطنية أحسن نموذج عن ذلك أين وانفتح مفكروها على أفكار غربية؛ وتم الترويج لأعمال موليير وشاتوبريان وألفنسو كار. وهي المرحلة التي تراجعت فيها الأفكار التي كانت مدعاة للانغلاق وتراجع كمشروع الجامعة الإسلامية، حيث شهدت أقبال الشباب

---

[1]Ibid, p.29-34.

[2]Ibid, p.120.

[3]Ibid, p.55.

[4]Ibid, p.68-74.

المسلم على المؤسسات التعليمية الأروبية في كل المدن كبيروت ويافا وسورية التي أسستها البعثات الكاثوليكية والبروتستانتية. كما كان للهجرة إلى أروبا أثره القوي في انفتاح هؤلاء[1]. وعلى صعيد آخر فإن إسلام مصر في نفوس مسلميها خاصة في أوساط النخبة والسلطة الحاكمة قد تراجعت قداسته وروحنيته، مقارنة بتركيا حسب نفس الكاتب وأضحى في القرن 19 بمثابة العادات والتقاليد. كما انعكس ذلك على الحياة الثقافية التي ظهرت عليها تأثيرات النهضة الأروبية [2].

بينما قيم لوشاتلية الإسلام العصري في الجزائر خلال نفس المرحلة بمكانته في نفوس سكانها المسلمين، وأفرد في ذلك أهل المدن الكبرى الذين نعتهم بالمسلمين غير المؤمنين[3]. وخلص إلى أن المجتمعات العربية والأمازيغية لم تتفاعل بشكل كبير مع التأثيرات الفرنسية. رغم أن التحديث هو ملاذ الأفضل لبناء مجتمع جديد في الجزائر[4].

وفي العموم اعتبر لوشاتليه الإسلام دين إيجابي يفرض شريعة موحدة، انبثقت عنه سلطة دينية ودنيوية. أنه يمكن التميز بين الإسلام الأسيوي والإفريقي، فالأول مشبع بوحدة الوجود، والثاني يؤمن بالتصوف المخفف، والمرتبط بالعقائد بدائية[5].

---

(1) A.L.Chatelier, L'Islam au XIX siècle, op.cit, p.147-148.

(2) Ibid, p. 157-159.

(3) Ibid, p. 174.

(4) Ibid, p. 178-179.

(5) Ibid, p. 184.

قائمة المصادر والمراجع:

-عزيزة فوال البابايتي، **موسوعة أعلام العرب والمسلمين والعالمين**، ج.4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.

– عبد الرحمان بدوي، **موسوعة المستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ت).

– سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.6، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

– مصطفى خالدي، عمر فروخ، **التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى اخضاع الشرق للاستعمار العربي**، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1953

– أحمد نعمان: **فرنسا والأطروحة البربرية في الجزائر**(الخلفيات: الأهداف، الرسائل، البدائل، منشورات دحلب، الجزائر.

-العقيقي نجيب، المستشرقون، دار المعارف، مصر،1964.

– روبير منتران، روبير منتران،" الاستشراق الفرنسي تطوره آفاقه"، تر :يوسف حبي، **سلسلة كتب الثقافة المقارنة الاستشراق**، ع 2 ،العراق،/1987.

-Christophe Charle, Eva Telkes, **Les professeurs du collège de France, Dictionnaire biographique (1901-1939),** Institut national de recherche pédagogique, Paris, 1988.

-Jean Le Chatelier, Alfred le chatelier (1855-1929) sa carrier africaine, Feni XX réédition numérique ,service historique, 1 janvier 1987.

-A.L.Chatelier, L'Islam au XIX siècle, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1888

Revue du monde musulman, V.1,N.2,1906

https://biblioweb orientale. Hypotheses.org. Bibliothèque orientale Elzévirienne- biblioweb